ازدواج مراكز السلطة الأسرية العراقية بعد عام 2003م.

The exchange of centers of Iraqi family power after 2003 AD.

بحث مقدم من قبل
المدرس المساعد ابتسام عمران حسين
جامعة بابل / قسم شؤون الاقسام الداخلية

الخلاصة.

تعرضت الاسرة العراقية بعد عام 2003م الى انتكاسات وهزات عنيفة جعلت الفوضى أحد معالم الاسرة من حيث تغير المراكز لكل من الام والاب ، وان تغيرات هذه المراكز اثرت سلباً على وقع الحياة الاسرية فازدادت الاضطرابات داخل الاسرة وشهدت انحلالا تدريجياً وصولا لفقدان الاسرة لهويتها والابتعاد عن عاداتها وتقاليدها .

يناقش هذا البحث اثر تغير السلطة الابوية على مجمل ممارسات افراد الاسرة.

الكلمات المفتاحية : ازدواج ، تبادل ، المركز، الاسرة ، الام ، الاب.

Abstract .

After the year 2003 AD, the Iraqi family was subjected to violent setbacks and tremors that made chaos one of the features of the family in terms of changing centers for both the mother and father, and that the changes of these centers negatively affected the impact of family life, so the disturbances within the family increased and witnessed a gradual dissolution leading to the family losing its identity and moving away from its customs and traditions.

This research discusses the effect of changing parental authority on the overall practices of family members.

Keywords : couple, exchange ,center, family, mother, father.

.

المقدمة .

اولًا/ مشكلة البحث .

تنوعت واختلفت الكتابات عن الاسرة في علم الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع منذ نشوء هذين الحقلين فوصفتها بأنها خلية أو وحدة اجتماعية انتاجية تشكل مركزاً للنشاطات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية تقوم على التعاون والالتزام المتبادل والمودة ، وانها ابوية من حيث تمركز السلطة والمسؤوليات ومن حيث الانتساب، غير ان المجتمعات المتغيرة تجبر الفرد على التخلي عن بعض الانماط الاجتماعية التقليدية فينجم تغيراً في الدور والمكانة الاجتماعية مما يتطلب تكيفاً للأدوار الجديدة والمطلوبة من قبل الانساق البنائية ليكتسب أفراد الاسرة توقعات ادوارهم الجديدة كانت السلطة الابوية في النصف الاول من القرن العشرين سلطة تقليدية أي ان الاب يحتل المكانة العالية والمميزة في الاسرة بينما الام تحتل مكانة اقل من المكانة التي يحتلها الاب وذلك بسبب عوامل تاريخية وحضارية واجتماعية عديدة. فالانغلاق الاجتماعي والحضاري الذي كان يميز المجتمع العراقي آنذاك لم يسمح للمرأة ان تحتل مكانة اجتماعية مساوية للمكانة التي يحتلها الرجل . ذلك ان الاسر العراقية في النصف الاول من القرن العشرين كانت الاسرة غير متوازنة أي ان الزواج يحدث بين الجنسين في حالة تكون فيها مكانة ونفوذ الرجل اعلى من مكانة نفوذ المرأة بدليل ان الرجل كان ينفرد في اتخاذ القرارات التي تخص امور الاسرة وتربية الاطفال وتحديد العلاقات القرابية التي تربط الاسرة بالأقارب التابعين للزوج والزوجة ؛ الا ان المكانة التقليدية للأبوين قد تغيرت في النصف الثاني من القرن العشرين بعد المناصفة في عوائد النفط وما يسّرته هذه العوائد من اعمار واحتكاك حضاري بين العراق والثقافة الغربية والدول الصناعية المتقدمة ولاسيما الاوربية منها، مع عامل الانتشار الحضاري أي دخول معالم الحضارة الاوربية والغربية للمجتمع العراقي وتأثر المجتمع بها ولاسيما تأثر الاسرة باللمسات الحضارية الشاخصة للحضارة الاوربية . فضلاً عن عوامل التحضر والتصنيع والتنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة التي دخلت الى المجتمع العراقي. وأخيرا انتشار الثقافة والتربية والتعليم بين النساء وزيادة المستوى المعاشي للأفراد والجماعات في المجتمع العراقي . جميع هذه العوامل ادت الى تغير السلطة الابوية وتغير مركز اتخاذ القرار اذ اصبح الاب لا ينفرد في اتخاذ القرارات كما كان يفعل سابقاً بل ان زوجته اخذت تشاركه في هذه المسؤولية، وهذا ما ادى الى ارتفاع المكانة الاجتماعية للام مع انخفاض نسبي للمكانة الاجتماعية للاب عن مستواها السابق . وهنا اصبح المجتمع العراقي يتميز بدرجة من الديمقراطية والحرية في اتخاذ القرارات ويتميز بدرجة من الشفافية في العلاقة الانسانية بين الزوج والزوجة من جهة وبين الابوين والابناء ولاسيما البنات من جهة اخرى، وتتركز اشكالية البحث الحالي ببيان انه هل هناك ازدواج في مراكز السلطة الاسرية العراقية بعد عام 2003؟

ثانيا/ اهمية البحث .

تتجلى اهمية البحث من :

1- الاسرة هي اللبنة الاساسية لبناء المجتمع واذا صلحت الاسرة صلح عموم المجتمع وهو من المهام الكبيرة والمعقدة في الحياة العامة

2- تعرض المجتمع العراقي للكثير من الهزات العنيفة في بنية الاسرة وفوضى المراكز في الاسرة الواحدة ومن امثلتها التفكك الاسري او العنف ضد المرأة .

3- القرارات الاسرية هي المفتاح الرئيسي نحو مجتمع سليم فلو احتل كل شخص مركزه في الاسرة لزالت نصف المشاكل الاسرية وابرزها الطلاق والصراعات البينية بين الزوج والزوجة.

ثالثا/ اهداف البحث .

يهدف البحث الى : الوقوف على المراكز الاسرية وبيان اسباب التردي الحاصل في نظام الاسرة العراقية خصوصاً في السنوات العشر الاخيرة التي زادت فيها المشاكل الاسرية بسبب تبادل المراكز في الاسرة الواحدة .

رابعا/هيكلية البحث .

ينتظم البحث الحالي على مبحثين : المبحث الاول : مكانة الاب في الاسرة التقليدية والمبحث الثاني مكانة الام في الاسرة وابرز النتائج المتمخضة عن تغير المواقع الاسرية .

خامسا / منهجية البحث .

يتركز البحث الحالي بالمنهج التحليلي والمقارن بمقارنة ازدواج سلطة الاسرية بعدة مجتمعات وأماكن جغرافية خلال فترة زمنية واحدة ويدرس الظاهرة الاجتماعية نفسها في مجتمع واحد عبر مراحل زمنية مختلفة ويقارن بينها . وبعد المقارنة يشتق قوانين عامة تفسر وتحلل طبيعة الظاهرة المدروسة، وعلى هذا الاساس قسمت البحث الحالي الى مبحثين الاول تطرق عن مكانة الاب والمبحث الثاني اقتصر على مكانة الام.

المبحث الاول/ مكانة الاب في الاسرة التقليدية.

نعني بالأسرة التقليدية الاسرة غير المتوازنة أي الاسرة التي لا تتساوى فيها مكانة الاب مع مكانة الام نظراً للأسباب التاريخية والاجتماعية والحضارية، وكذلك مكانة الاب وهذا ما سنتناوله في مطلبين وهما:

المطلب الاول / الاسباب التاريخية والاجتماعية والحضارية.

أولا: أن عادات وتقاليد المجتمع (الرواسب الاجتماعية والتاريخية) هي التي تفضي الى ارتفاع مكانة الاب مقارنة بمكانة الام .

ثانياً:أن أهمية الاب في الاسرة بحسب رأي المجتمع العراقي التقليدي تأتي قبل اهمية الام لان الاب هو الذي يحافظ على وحدة الاسرة ويحل النزاعات التي تنشب بين أبنائها ويكون مسؤولاً عن موارد العيش للأسرة [1] .

ثالثاً: الاب هو الذي يحتل المركز المتنفذ الذي من خلاله يستطيع اتخاذ القرارات التي تحدد حاضر ومستقبل الاسرة .

رابعاً : ان مكانة وسلطة الاب لا يمكن ان يتحداها أي عضو من اعضاء الاسرة حيث ان مكانته وسلطاته تكون مطلقة، وانها تمتد وتؤثر على جميع افراد الاسرة[2].

خامساً: انحدار الاسرة من خط الذكور أي ان النسب الاسري هو (نسب ابوي) بمعنى ان الابناء يأخذون اسم الاب وليس اسم الام مما يسهم مساهمة كبيرة في كون مكانة الاب اعلى من مكانة الام [3] .

سادساً: الاقارب الذين ينحدرون من خط الاب يكونون اهم من الاقارب الذين ينحدرون من خط الام نظراً لكون مسؤوليتهم ازاء الاسرة تكون اعلى من مسؤولية الاقارب الذين ينحدرون من خط الام [4] .

لهذه الاسباب جميعها نلاحظ بان مكانة الاب في الاسرة العراقية التقليدية هي مكانة عالية مقارنة بالمكانة التي تحتلها الام . وعندما تكون المكانة الاجتماعية للاب عالية فان أهمية الاب في كيان الاسرة تكون عالية مقارنة بأهمية الام وهذا ما يجعل الاب يتمتع بسلطات غير محدودة على بقية افراد الاسرة كالزوجة مثلاً والابناء [5]، فضلاً عن ان المجتمع بتراثه الحضاري يعترف بالموقع العالي الذي يحتله الاب وسط الاسرة، وهذا ما يعزز مكانة الاب في المجتمع بحيث تكون الدولة داعمة لهذه المكانة العالية نظراً لقوة الاعراف والتقاليد والعادات الاجتماعية السائدة في المجتمع[6] .

المطلب الثاني/ المكانة العالية للاب.

ان المكانة العالية للاب في الاسرة التقليدية على وفق نظام تقسيم العمل الاجتماعي تجعل الاسرة تؤدي وظائف عديدة مهمة لفاعلية الاسرة في المجتمع، والوظائف التي يقدمها الاب للأسرة هي ما يأتي :

أولاً: مسؤولية الاب عن سمعة الاسرة ، فالسمعة قد تكون عالية او واطئة اعتماداً على سمعة الاب وسط المجتمع المحلي الذي يعيش فيه ويتفاعل معه [7] ثم ان سمعة الاب في الاسرة والمجتمع تعتمد على الوظائف والمسؤوليات المناطة به ولاسيما فيما يتعلق بوسائل الضبط الاجتماعي وكيفية تطبيق هذه الوسائل على الافراد في حالة انحرافهم عن المثل الاجتماعية وخروجهم عن الخط المتعارف عليه من قبل المجتمع [8]. والاب هو الذي يختار وسيلة الضبط الاجتماعي نحو افراد اسرته عندما يتعرضون الى حالة الشذوذ والانحراف [9] .

ثانياً:الاب هو الذي يحدد المكانة الاقتصادية للأسرة أي كون الاسرة مرفهة او فقيرة او تتمتع بمستوى اقتصادي متوسط . فالمهنة التي يزاولها الاب هي التي تحدد مقدار الدخل الذي تحصل عليه الاسرة ، ومقدار الدخل هو الذي يحدد مكانتها الاقتصادية والاجتماعية وسط المجتمع المحلي الذي تعيش فيه الاسرة.[10]

ثالثاً:مكانة الاسرة في المجتمع تحددها بالتحصيل العلمي والمؤهلات الثقافية التي يحملها الاب. فهذه المؤهلات هي التي تمنح الاسرة مكانتها الاجتماعية والحضارية وبالتالي تحدد اوجه الاحترام والتقدير التي يحظى بها من المجتمع .

رابعاً: تنتظم العلاقات القرابية بين اسرة الزوج ولاسيما اسرته الاصلية والاسرة الاصلية لزوجته [11]، علماً بان مثل هذه العلاقات القرابية الذي ينظمها الاب بين اسرته والاقارب انما تعتمد على درجة تقدم او تخلف المجتمع. فكلما كان المجتمع متقدماً تكنولوجياً واقتصادياً كلما كانت العلاقات القرابية ضعيفة وكلما كان المجتمع متخلفاً صناعياً واقتصادياً كلما كانت العلاقات القرابية قوية ومع هذا ان الاب يلعب الدور الفاعل في تنظيم العلاقات القرابية وسط الاسرة [12].

خامساً: من الوظائف الاخرى التي يقوم بها الاب المشاركة في تربية الابناء واستدخال القيم السلوكية الايجابية عندهم والتصدي للقيم السلبية التي قد يتأثر بها بعض افراد الاسرة [13]. فضلاً عن أهمية الاب في منح الابناء فرصة اكتساب المهارات والمعلومات التي من خلالها يستطيعون تحسين اوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية والحضارية [14] .

سادساً: أهمية الاب في تنظيم العلاقات الاجتماعية بين الجيران حيث ان الاب يؤدي دوره الفاعل في تحديد انماط العلاقات الانسانية التي تربط الاسرة بالجيران والمجتمع المحلي [15].

سابعاً: تحفيز الابناء على التحصيل العلمي ومواكبة الدراسة المتخصصة التي تعطي التخصصات والمعارف والتكنولوجيا للأبناء والتي تحدد فيما بعد طبيعة الاعمال والمهن التي يمارسونها بعد انهائهم لفترات الدراسة والتحصيل العلمي.

من هذه المهام والمسؤوليات الكبيرة والمتعددة التي يضطلع بها الاب نستطيع ان نقيم مكانته العالية في الاسرة وفي القرابة وفي المجتمع المحلي. ولولا هذه المسؤوليات المتشعبة التي يقوم بها الاب لما كانت اهميته ومكانته عالية في المجتمع ولما كان محترماً ومقيماً من قبل الافراد والجماعات .ومن الجدير بالذكر ان مكانة الاب العالية في المجتمع التقليدي انما تلقى الدعم والتأييد من لدن جهات عديدة منها الدولة والدين والنظم السياسية والاجتماعية الاخرى. ذلك ان دعم مكانة الاب من قبل هذه المؤسسات والنظم انما يشجع الاب كقائد للأسرة على تأييد مواقف الدولة والمؤسسة الدينية والسياسية في المجتمع. ومثل هذا التأييد والدعم المشترك للاب من هذه المؤسسات انما يكون سبباً مهماً من اسباب التكامل الاجتماعي وبالتالي الوحدة الاجتماعية التي تعدّ بمثابة العامل الاساس في قوة المجتمع واقتداره على تحقيق اهدافه وطموحاته القريبة والبعيدة .

المبحث الثاني/ مكانة الام في الاسرة قبل وبعد عام 2003.

لبيان مكانة الام لا بد من تقسيم هذا المبحث الى ثلاثة مطالب الاول نتناول فيه الام في الاسرة التقليدية والمطلب الثاني يتضمن تغير السلطة واتخاذ القرار والمطلب الثالث يتضمن مكانة المرأة بعد عام 2003

المطلب الاول / الام في الاسرة قبل 2003.

تحتل الام في الاسرة التقليدية مكانة مهمة ومتميزة ولكنها ليست بمستوى الاهمية والتميز التي تحتلها مكانة الاب [16] . صحيح ان الام تلعب الدور القيادي في الاسرة العراقية التقليدية ، الا ان مكانتها في الاسرة والمجتمع لا ترقى الى مكانة الاب ، مع ان هناك الكثير من الاسر العراقية التقليدية قد تبعثرت وتفككت عند غياب الام من الاسرة [17] ، الغياب الذي كان بسبب الوفاة او تفكك الاسرة او الطلاق[18] .

ولكن بالرغم من أهمية مكانة الام في الاسرة العراقية التقليدية الا ان هذه المكانة تعاني الكثير من المشكلات والتي كان سببها المركز العالي الذي يحتله الاب وبسبب نظرة المجتمع الى مكانة الام وهي نظرة متحيزة لا تعترف بالقدرات والقابليات والامكانات الذكائية والعملية والاجتماعية التي يمكن ان تتمتع بها الام [19]. لذا راحت مكانة الام الاجتماعية تلعب دوراً أقل أهمية من ذلك الدور الذي كان يحتله الاب

في الاسرة والمجتمع [20] . علينا هنا ذكر اهم الاسباب التي أدت الى تدني المكانة الاجتماعية للام في الاسرة التقليدية مقارنة بتلك التي يحتلها الاب، وفي الوقت نفسه علينا ذكر العوامل التي تسبب تنامي وتعاظم اهمية الدور الذي تحتله المرأة في المجتمع العراقي سواء كان تقليدياً ام حديثاً، ذلك ان مكانة المرأة او الام في الاسرة انما هي سلاح ذو حدين الحد الاول هو ان هذه المكانة لا يمكن اعتبارها مكانة متميزة كالمكانة التي يحتلها الرجل ، والحد الثاني هو ان مكانة المرأة او الام في الاسرة والمجتمع ليست هي مكانة عالية في المجتمع التقليدي بسبب العوامل والمتغيرات الاجتماعية والتاريخية والحضارية التي أثرت فيها تأثيراً سلبياً . ان العوامل والمتغيرات التاريخية والاجتماعية والحضارية التي أدت الى الهبوط النسبي للمكانة الاجتماعية للام في المجتمع العراقي التقليدي يمكن درجها بعدد من النقاط التي أهمها ما يأتي :

أولاً: لم تدخل المرأة الى نظام الزواج على مستوى وصعيد واحد مع الرجل ، فالمرأة دخلت نظام الزواج وهي اقل مكانة من تلك التي يحتلها الرجل لان الرجل هو الذي اختارها وهو الذي دفع المهر او(الحك) وتحمّل تكاليف الزواج كافة حتى انه اخذها من بيت اهلها الاصلي الى بيت اهله الاصلي (السكن الابوي) (Patrilocal Residence) والسكن الابوي يقلل من المكانة الاجتماعية للام . [21]

ثانياً: المرأة لا تكسب موارد العيش للأسرة فهي كما يعتقد الرجل مع اطفالها عبء كبير على ميزانية الاسرة الممتدة. وهنا لا تنظر الاسرة الممتدة نظرة مليئة بالاحترام والتقدير اليها ولا الى ابنائها.

ثالثاً: افتقارها أي الام الى الثقافة والتربية والتعليم ومعظم النساء آنذاك كنّ يفتقرنّ الى التعليم وكان نسبة الامية عالية بين النساء [22] .

رابعاً: لا تعمل المرأة خارج البيت وليس لديها مهنة تمارسها سوى كونها ربة بيت[23] .

خامساً: انها كانت حبيسة البيت لا تخرج من البيت لان خروجها من البيت لا يعطيها درجة عالية من الاحترام والتقدير من الجيران والاقارب لان خروجها الكثير من البيت يمس سمعتها الاجتماعية وسمعة اسرتها أو اسرة زوجها.

سادساً: ضعف المشاركة السياسية والاجتماعية والقانونية للمرأة خارج البيت اذ لم تشارك في اتخاذ القرار الاجتماعي الذي يسير امور الاسرة ولم تشارك في اتخاذ القرار السياسي الذي يحدد المسار السياسي للدولة والمجتمع ولم تشارك في اتخاذ القرار القانوني الذي يحسن اوضاعها القانونية والتشريعية ولاسيما فيما يتعلق بحقوقها المدنية والقانونية .

سابعاً: تعرض المرأة الى حالة عدم الاحترام والتقدير من قبل زوجها او اقربائها وربما في بعض الحالات استعمال العنف والقسوة ضدها وحرمانها من حق المشاركة في اتخاذ القرار بتربية ابنائها وتحديد علاقاتها القرابية ولاسيما علاقتها بأهلها [24] .

جميع هذه العوامل ادت الى هبوط المكانة الاجتماعية للمرأة بصورة عامة والام بصورة خاصة، علماً بان هذه الظروف والمعطيات الاجتماعية والاقتصادية والحضارية السلبية قد أثرت تأثيراً مخرباً في مهام التنشئة الاسرية التي كانت تقوم بها داخل الاسرة وذلك لأنها تعاني مشكلات ضعف الثقة بالنفس والارهاق الجسدي وكانت تخاف من زوجها ولاسيما اذا كانت غير قادرة على انجاب الاطفال ، فاذا لم تنجب الاطفال فأنها تكون عرضة للطلاق وهذا ما يحز بنفسها ويحطم حالتها المعنوية والمزاجية ويجعلها عرضة للأمراض النفسية والعصابية[25] .هكذا كانت المكانة الاجتماعية للمرأة العراقية التقليدية (الام) بينما كانت مكانة الاب في ذلك الوقت عالية غير أن الظروف الموضوعية والذاتية للمجتمع العراقي قد تغيرت بعد ثورة (14) تموز عام 1958 فأرتفعت المكانة الاجتماعية للمرأة العراقية ومعها مكانة الام الا انها لم تصبح مضاهية لمكانة الرجل لأسباب كثيرة.

المطلب الثاني / تغير السلطة ومركز اتخاذ القرار.

منذ الخمسينات من القرن العشرين بعد المناصفة في عوائد النفط في عام 1951 وبصورة خاصة بعد ثورة (14) تموز عام 1958 بدأت مكانة المرأة العراقية بالتغير التدريجي بعدما كانت مكانة متدنية وهابطة كما ذكرنا في المبحث السابق. والتغير الذي طرأ على مكانة المرأة في الاسرة والمجتمع كان نحو الاحسن والافضل اذ تحررت العديد من النساء العراقيات ولاسيما المثقفات واللواتي ينحدرن من الطبقة

الوسطى والمرفهة من الكثير من القيود والمظالم الاجتماعية [26]. الامر الذي أدى دوره الفاعل في تغير طبيعة السلطة الابوية في الاسرة اذ كان الاب هو المسيطر وصاحب الشأن العالي فيها ، بيد ان الام اخذت مكانتها ترتفع تدريجياً ولاسيما خلال العقود الثلاثة بعد منتصف القرن العشرين [27]. لقد تحررت المرأة العراقية بعض الشيء من القيود التي كانت مفروضة عليها فيما يتعلق بزواجها والقرارات التي تتخذها في الاسرة فلم تكن تشارك في اتخاذ القرار قبل الخمسينيات ولكنها في النصف الثاني من القرن العشرين اخذت تشارك في اتخاذ القرار الخاص بواقع اسرتها واطفالها ومستقبلهم [28]. وهذا كان نتيجة حتمية لثقافتها وتعليمها ودخولها لشتى مواقع العمل. فضلاً عن سنّ او تشريع بعض القوانين التي تدافع عن حقوقها المدنية وحقها في الميراث والوصايا وتربية الاطفال بمعزل عن تدخل الاقارب في شؤونها ولاسيما اهل الزوج [29]. كذلك كسرت حدة النفوذ والدكتاتورية والسلطوية والعنجهية التي كان يتمتع بها الرجل آنذاك بعدما تغيرت الظروف الموضوعية والذاتية للمجتمع وتغيرت العقلية الثقافية في المجتمع العراقي [30] بشكل او بآخر ، فلم يعدّ الاب الدكتاتور المستبد الذي يستطيع ان ينفرد في اتخاذ القرارات الخاصة بالأسرة ومستقبلها [31]، ولم يعدّ قادراً على معاملة زوجته واطفاله معاملة قاسية بعيدة عن اجواء الديمقراطية والتفاهم [32]، كما اخذ نتيجة تغير قيم وثقافة المجتمع يسمح لزوجته أو ابنائه بالمشاركة في اداء الاعمال خارج البيت او اكتساب التربية والتعليم او المشاركة في كسب موارد العيش للأسرة [33] .

لقد حدثت هذه التغيرات في السلطة الابوية نتيجة توافر اسباب عديدة لعل اهمها ما يأتي :

1. قيام المجتمع بإتاحة المجال للمرأة باكتساب الثقافة والتربية والتعليم والمؤهلات العلمية التي مكنتها من الدخول الى مختلف اصناف العمل [34].
2. دخول المرأة الى الاعمال المهنية والانتاجية والخدمية على نطاق واسع ولاسيما خلال فترة الحرب العراقية الايرانية عندما ذهب الآلاف من الرجال الى جبهات القتال ، وهنا أخذت المرأة تشغل اماكن الرجال في العمل الانتاجي والخدمي .
3. اثبتت المرأة قدرتها على اكتساب مؤهلات علمية عالية اسوة بالرجل واثبتت قدرتها على مزاولة العمل الانتاجي والخدمي والمهني جنباً الى جنب مع الرجل [35] .
4. ظهور العديد من المنظمات النسوية والمهنية التي اخذت تدافع عن حقوق المرأة وتطالب بمساعدة المرأة بأشغال دورها الفاعل والحيوي في المجتمع باعتبارها نصف المجتمع [36] .
5. التشريعات القانونية التي سنت القوانين للدفاع عن حقوق المرأة وازالة بعض المظالم والقيود التي كانت تمنعها من المشاركة في بناء واعادة بناء المجتمع[37] .
6. تغير المواقف التي يحملها بعض الرجال ازاء مكانة المرأة في الدراسة والعمل والانتاج والبناء، بعدما كانت هذه المواقف هامشية او سلبية اصبحت مواقف ايجابية تدعم مكانة المرأة وتعزز وجودها كإنسانة تستطيع ان تشارك في تفعيل القطاعات الانتاجية والخدمية والتي يحتاجها المجتمع [38]. ومثل هذا التغير الذي طرأ على مواقف الرجل ازاء المرأة وتغير العديد من القيم والممارسات التي كانت لا تحترم المرأة ولا تضعها في المكان الذي تستحقه لاسيما وانها الاخت والام والزوجة والعنصر الذي لا يستطيع المجتمع الاستغناء عنه . [39] ، وركزت القوانين حقوق المرأة وقد استندت المادة (11) الى كثير من الحقوق التي طالبت بها منظمة العمل الدولية للمرأة وتعزيزها فالمادة (11) تنصح على انه يجب ان تتمتع النساء بالحق الاساسي من حقوق الانسان وهو الحق في العمل ، فاتفاقية المساواة في الأجور لعام 1951 رقم (100) والتي تتلخص احكامها في العمل على تحقيق المساواة في الاجور بين النساء والرجال عن الاعمال المتساوية القيمة وكذلك المساواة في العلاوات والتعويضات والعمل على تطبيق هذا المطلب عن طريق نص تشريعي او قوانين داخلية او نصوص دولية على اساس ثقافة دولية وجماعية وان تتكفل الحكومات بتطبيق هذا المبدأ على العاملين والعاملات ، يعد ميثاق الامم المتحدة الذي تم توقيعه في 26 حزيران عام 1945 في سان فرانسيسكو وفي ختام مؤتمر الامم المتحدة الخاص بنظام الهيئة الدولية والذي اصبح نافذا في تشرين الاول عام 1945 اول صك دولي يذكر تساوي المرأة بالرجل في الحقوق بعبارات محددة وواضحة وان الاعلان العالمي الذي اقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة في 10 كانون الاول 1948 ليضع مبدأ تساوي المرأة والرجل موضع التفصيل وذلك في مادته الاولى يولد جميع النساء

احرارا متساوين في الكرامة والحقوق وينص في مادته الثانية لكل انسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة في هذا الاعلان دون تمييز كتمييز بسبب اللون او العنصر او الجنس او اللغة او الدين او الرأي السياسي او أي رأي اخر او الاصل الوطني او الاجتماعي او الثروة ونصت الفقرة(1) من المادة (55) من الميثاق على ضرورة تحقيق مستوى اعلى للمعيشة وتوفير اسباب الاستخدام المتصل لكل فرد والنهوض بعوامل التطور والتقدم الاقتصادي والاجتماعي الاان ما تعرضت له المرأة العراقية بسبب ظروف الحصار اعباءجديدة جسيمة ونفسية بسبب صعوبة الحصول على متطلبات العائلة وشحة المواد التي يحتاجها افراد الاسرة فضلا عن غلاء ثمنها .ان مثل هذه الاحوال تتسبب من دون شك في حالة من القلق النفسي تتحول في احيان كثيرة وحسب اراء الاختصاصين في علم النفس والاجتماع الى مرض نفسي يصب علاجه ومن ابرز مظاهره التشاؤم وفقدان الثقة بالحياة وانعدام الامل والانعزال والانطواء والهيجان المستمر والعصبية الزائدة [40] ، وفي الوقت ذاته تغيرت مكانة السلطة الابوية الخاصة بمكانة الاب في الاسرة والمجتمع، وبعد ان كانت هذه المكانة عالية جداً وتتسم بالسلطة المطلقة، ثم اخذت هذه السلطة تتغير تدريجياً وتسمح ان تتنازل عن بعض حقوقها وتعطيها الى المرأة ولاسيما انها اخذت تعترف بالمكانة المتميزة التي تحتلها المرآة في المجتمع [41]. وسبب هذا الاتجاه في التغير الذي طرأ على المكانة العالية التي كانت تحتلها سلطة الاب في الاسرة والمجتمع يرجع الى عوامل عديدة ولعل اهمها ما يأتي:

1. لم يكن الاب بمفرده مسؤولاً عن كسب العيش في الاسرة بل ان المرأة اخذت تشاركه في هذه المسؤولية ، وهذا ما ادى الى تقليل مكانة الاب في الاسرة والمجتمع[42] .
2. لم يكن الاب الوحيد الذي يدعي بانه الشخص الذي يحمل الثقافة والتربية والتعليم بل ان المرأة اخذت تحمل المؤهلات العلمية والثقافية [43] .
3. لم يكن الاب وحده الذي يدعي بانه يستطيع مزاولة شتى انواع المهن دون منافس داخل وخارج البيت فالمرأة اخذت تشاركه في هذه المهمة ، ولم يعدّ الوحيد الذي يستطيع ان يقوم بالمهام التي كانت يدعيها كمهن الطب والمحاماة والهندسة والتعليم والفن والادب والفلسفة والتمريض [44] .
4. هناك منظمات نسوية مهنية تقف ضد سلطوية وعنجهية الرجل وتحاول ان تضعف هذه السلطة وتقلل من دورها المخرب في الاسرة والمجتمع [45] .
5. هناك منظمات وقوى سياسية وجماعات ضغط لا توافق على المكانة المطلقة التي كان يحتلها الرجل قبل الخمسينات من القرن العشرين وهذا ما جعل الرجل يشعر بان هناك قوى معلنة وسرية تحاول تحدي كيانه وزعزعة مكانته في الاسرة والمجتمع ، الامر الذي جعله يخضع للأمر الواقع وينزل من برجه العاجي [46] .
6. وجود الكثير من الجماعات المرجعية التي توجد فيها النساء والتي بطريقة واخرى تفرض نفوذهنّ على سلطة الرجل في الاسرة والمجتمع وتحاول اقناعه بحتمية المساواة بين المرأة والرجل [47] .

جميع هذه العوامل ادت بنظر الباحثة الى التغير النسبي في مكانة الرجل مع الارتفاع النسبي في مكانة المرأة . وهنا نستطيع ان نفسر التغير الذي طرأ على السلطة الابوية في الاسرة العراقية خلال النصف الثاني من القرن العشرين ذلك انه كلما تقدم الزمن كلما ارتفعت المكانة الاجتماعية للمرأة وتقلص نفوذ وقوة الرجل في المجتمع ولاسيما الاسرة. علماً بان هذه الحالة ترجع الى عوامل مهمة سبق ان تطرقنا اليها ولكن يبقى عامل وسائل الاعلام والاحتكاك الحضاري بالدول المتقدمة ولاسيما الدول الاوربية من اهم العوامل التي كانت مسؤولة عن هذا التغير . فالعراق كغيره من البلدان النامية بصورة عامة والدول العربية بصورة خاصة يتأثر بوسائل الاعلام الجماهيرية لاسيما بعد تطور هذه الوسائل وتقل اخبار ما يدور في الدول المتقدمة الى الدول النامية والعربية بسرعة هائلة بحيث تحول العالم برمته الى قرية صغيرة . ان تغير السلطة الابوية خلال النصف الثاني من القرن العشرين من حيث مظاهر السلطة والعوامل الموضوعية والذاتية المؤثرة فيها ومسار التغير ودرجته اثرت تأثيراً واضحاً في تغير مراكز اتخاذ القرار داخل الاسرة . فقبل التغير كان الاب يحتكر مركز اتخاذ القرار وينفرد به ولا يشرك زوجته او افراد اسرته في هذا القرار ولكنه بعد التغير تغير مركز اتخاذ القرار . فبعد ان كان الاب ينفرد في

اتخاذ القرار اخذت الام تشاركه في اتخاذ القرار ولاسيما بالنسبة للأسر الوسطى والمرفهة والاسر المثقفة ولكن في الاسر الفلاحية والعمالية ما يزال الاب يستحوذ على مركز اتخاذ القرار أي انه ينفرد في اتخاذ القرارات الخاصة بشؤون الاسرة ومستقبلها ومستقبل دراسة الابناء وما يمكن ان يقوم به من اعمال .
ويجب ان لا نقول بان مركز اتخاذ القرار انيط بالأب والام فقط بل أن الابناء الكبار والبنات أخذوا يشاركون في عملية اتخاذ القرار . فالأب او الام قبل اتخاذ أي قرار يتعلق بالأسرة يقومان بزج الابناء الكبار في القرار لكي يكونوا جميعاً القرار الناجح الذي يحظى بقبول الجميع . أما اذا لم يستشار الابناء في اتخاذ القرار وينفرد الوالدان في القرار فان القرار لا يكتب له النجاح لان هناك طرفاً مهماً لم يشارك في اتخاذ القرار ولاسيما بعد انتشار قيم الديمقراطية والحرية في ربوع المجتمع ، وهذه القيم التي خففت الفوارق الاجتماعية بين الاجيال ولاسيما بين جيل الابناء وجيل الآباء وجيل الامهات والبنات .
وهكذا تغيرت طبيعة السلطة الابوية وتغيرت مراكز اتخاذ القرار، فالسلطة الابوية لم تعدّ محتكرة من قبل الآباء بل اصبحت من شأن الآباء والامهات ومن شأن الاجيال الجديدة أي البنين والبنات في الاسرة . فهذا التغير قد حدث ولكنه لم يصل الى نهاياته الاخيرة اذ كلما تقدم الزمن تعاظمت مكانة الام في الاسرة وتقلصت مكانة الاب، مع الارتفاع النسبي لمكانة الكبار من الابناء والبنات .

المطلب الثالث/ مكانة المرأة بعد عام 2003.

لقد حظيت المرأة العراقية وعلى مر العصور باهتمام ورعاية خاصة بما يضمن لها تعزيز دورها التنموي في عملية البناء الاجتماعي والاقتصادي للبلاد وبما يصون كرامتها ويحافظ على حقوقها . فمنذ صدور اول تشريع عرفته الانسانية في بلاد الرافدين وفي عصر حمو رابي شهدت معلقته المشهورة اولى القوانين والتشريعات التي اهتمت بالمرأة ووفرت لها الحصانة القانونية من خلال النصوص التي اعدت الشخصية القانونية للمرأة العراقية تلتها الشريعة الاسلامية التي اكدت المبادئ والقيم الانسانية نفسها التي أكسبت المرأة دورا متميزا في الحياة العامة واقرت مساواتها مع الرجل في جميع الحقوق والواجبات ووفرت لها حق المشاركة السياسية المستقلة عندما امر الله عز وجل رسوله الكريم محمد (ص) ان يأخذ البيعة من النساء استقلالا واعطتها الحق في التعليم وحق التملك بأوسع معانيه . اما العصر الحديث ،وبالنظر للظروف الاستثنائية التي يمر بها العراق واجهت المرأة العراقية اعظم التحديات التي اثرت على تقدمها وعلى شخصيتها تمثلت تلك التحديات في ثلاث حروب فرضها النظام السابق وما رافقها من حصار اقتصادي انهك قوى الاسرة العراقية عامة والمرأة خاصة حيث تحملت بسببه العبء الاكبر من مصاعب الحياة او تراجع دورها التنموي بشكل كبير ادى الى انحسار مساهمتها في الحياة العامة وتقويض ما حققته من انجازات وتقديم على الاصعدة كافة عبر تاريخها الطويل ،كما اجبرت الظروف السلبية التي واجهتها المرأة العراقية عن تخيلها عن الحياة العملية وتفرغها للعمل المنزلي من اجل النهوض بأعباء الحياة اليومية التي تزايد ثقلها يوما بعد يوم . كما اثرت سلبيات النظام البائد بشكل كبير على المرأة وعلى صحتها الجنسية والنفسية جراء المعاناة اليومية لنقص الغذاء والدواء والاحتياجات الانسانية للعائلة والمرأة بشكل خاص . وبالرغم من ان العراق قد وقع بنود اعلان بكين ووافق على اتفاقية (السيداو) الا انه لم يحقق نتائج ملموسة بعد عشر سنوات من ذلك الاعلان للأسباب التي ذكرت اعلاه .
والان وبعد سقوط النظام بدأ القطر بإعادة هيكلة مؤسساته عامة والتي تخص المرأة خاصة لتتناغم مع منهاج عمل بكين وفي المجالات كافة المعلن عنها في المؤتمر المذكور . وستناول في هذا المبحث أهم الأساس العامة التي قامت عليها الاستراتيجية في العراق وقد نبعت من الاعتبارات الموضوعية التالية :
. ان الاستراتيجية في العراق تستمد اسسها من تراث العراق الحضاري وقيم مجتمعه العربي الاصيل ومن مبادئ حقوق الانسان .
. ان دور المرأة ومكانتها انعكاسا لتطوير المجتمع الامر الذي يتطلب دعم عملية تقدم المرأة والارتقاء بكفاءتها في المجتمع وازالة أي مظاهر للتمييز ضدها .
. تهدف الاستراتيجية الوطنية للمرأة العراقية الى معالجة الاثار اللا انسانية الناجمة عن سياسات النظام السابق التعسفية وما فرضته على شعب العراق من حروب وحصار امتدت عدة عقود من الزمن .

. تقوم الاستراتيجية الوطنية للنهوض بالمرأة على اساس التفاعل مع خطة التنمية الشاملة بأبعادها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية وتتفاعل مع الاستراتيجيات الاقليمية والدولية ذات العلاقة مع ايلاء اعتبار لخصوصية العراق الوطنية والحضارية .

. ترتكز الاستراتيجية في معالجة قضايا المرأة على قاعدة التوازن بين الحقوق والواجبات والتكامل في الادوار بين عناصر المجتمع وتؤكد تماسك الاسرة كونها الخلية الاساسية في المجتمع [48] .

امثلة حية على مشاركة المرأة في مواقع السلطة وصنع القرار في العراق

- عينت اول امرأة لتكون قائمقام لمقاطعة كردية عام 2003 .
- هناك ثلاث نساء بين الاعضاء الـ 25 في مجلس الحكم الانتقالي .
- عينت اول وزير للإشغال والإسكان في العراق عام 2003 .
- ظهر اتجاه عام في محل الحكم مشاركة النساء في مواقع السلطة ووضع القرار .
- اشراك المرأة في العراق لحضور المؤتمرات والاجتماعيات الخاصة بحقوق السلم والمفاوضات المتعلقة بالتسوية السلبية للمنازعات والمفاوضات والمشاركة في النشاطات المتعلقة بأعمال الاغاثة والمساعدات الانسانية .

الخاتمة .

نخلص من عرضنا لصفحات البحث اننا تعرفنا على أثر تغير السلطة الابوية على مكانة الاب والام في اتخاذ القرار بعدما تعرفنا على مكانة الاب والام في الاسرة التقليدية وعلى تغير السلطة الابوية عند تغير الظروف الموضوعية والذاتية للمجتمع وتغير العقلية الثقافية للرجل تجاه المرأة بشكل ايجابي عندها اخذت المرأة تشارك زوجها في اتخاذ القرارات الخاصة بواقع اسرتها .وهذا كان نتيجة حتمية لثقافتها وتعليمها ودخولها لشتى مواقع العمل ، فضلاً عن تشريع بعض القوانين التي تدافع عن حقوقها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وهكذا تغيرت طبيعة السلطة الابوية وتغير مركز اتخاذ القرار في الاسرة وترك هذا التغير أثراً على مكانة الاب وهو ما نجم عنها .

اولا / الاستنتاجات.

- ان تغير المراكز في الاسرة الواحدة قاد الى انحلال الاسرة وحصول الكثير من الصراعات داخل الاسرة الواحدة
- إن تفكك الاسرة بسبب تغير المراكز الاجتماعية شكل طريقا لخراب وانحلال العلاقات الاجتماعية عموما وبالتالي قاد الى التحلل الاجتماعي الذي نشهده اليوم
- لم تكن التغيرات في مراكز قرارات الاسرة ألا وليدة الانفتاح على العالم بسبب التكنلوجيا الحديثة التي بقدر ما نفعت الانسان فإنها اضرت من الناحية الاخرى.

ثانيا / الاقتراحات .

تقترح الباحثة ما يلي:

- اعداد دراسات متخصصة حول اعادة النظر في تقوية مركز الاب واعادة الامور الى نصابها في الاسرة العراقية التي كانت سائدة قبل عام 2003م .
- اصدار قوانين محددة للسلطتين وفق ما يتناسب وطبيعة المجتمع العراقي الذي يمنح الاعلوية للاب باعتبار انه القائم على شؤون الاسرة .
- الاستفادة من التقنينات العالمية التي حددت دور كل سلطة من السلطتين .
- ايصال فكرة (تقاسم الادوار) في تربية الاسرة بموجب الشريعة الاسلامية التي تاخذ بنظر الاعتبار الدور الاساس في تكوين الاسرة للاب باعتباره المسؤول الشرعي والقانوني فيما تفرزه تصرفات افراد الاسرة ولعل من الامثلة على ذلك ان قانون الاحداث العراقي يجرم في حالة ارتكاب ابنه القاصر احدى الجرائم ولا يجرم الام .

الهوامش.

(1) علاء الدين جاسم البياتي ، مركز الاب في الاسرة التقليدية ،ط1،دار الحرية للطباعة ،بغداد ،2000م، ص 358.
(2) المصدر نفسه، ص 282.
(3) المصدر نفسه، ص 283.
(4) عبد الحميد لطفي ، علم الاجتماع، دار النهضة العربية، بيروت، 1986، ص120.
(5) انتصار محمد جواد. الاسرة في حي الشعب، دراسة ميدانية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب ـ قسم الاجتماع، العراق، 2002، ص 58.
(6) عبد المجيد سيد احمد منصور ، دور الاسرة كأداة للضبط الاجتماعي في المجتمع العربي المعاصر ، المركز العربي للدراسات الاسرية في الرياض، السعودية، 1992، ص 41-42.
(7) المصدر نفسه، ص 42.
(8) قاسم محمد كمر الدراجي ، الاسرة والضبط الاجتماعي ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعةبغداد، كلية الآداب ، قسم الاجتماع، بغداد، 2002، ص 78.
(9) المصدر نفسه، ص 79.
(10) علاء الدين جاسم البياتي ، مصدر سابق، ص 380.
(11) علاء الدين جاسم البياتي ، مصدر سابق، ص 380.
(12) المصدر نفسه، ص 381.
(13) ضياء زاهر ، القيم العلمية التربوية ، مؤسسة الخليج العربي ، القاهرة، 1984، ص 39.
(14) احسان محمد الحسن ، العائلة والقرابة والزواج، ط1،دار افاق ،بيروت 1988، ص 121.
(15) علاء الدين جاسم البياتي ، مصدر سابق، ص 89.
(16) احسان محمد الحسن ، مصدر سابق، ص 68.
(17) المصدر نفسه، ص 69.
(18) علي الوردي ، طبيعة المجتمع العراقي ، مطبعة العاني، عراق، 1965م، ص 276.
(19) المصدر نفسه، ص 277.
(20) المصدر نفسه، ص 282.
(21) المصدر نفسه، ص 282.
(22) علي الوردي ، مصدر سابق،ص123
(23) علي، الوردي المصدر نفسه،ص123
(24) المصدر نفسه، ص 110.
(25) هالة البدري ، المرأة العراقية ، بغداد، العراق، 1980،(د.ت) ص 42.
(26) احسان محمد الحسن ، طبيعة المجتمع العراقي ، منشورات وائل، عمان، 2004، ص 182.
(27) المصدر نفسه، ص 183.
(28) المصدر نفسه، ص 185.
(29) المصدر نفسه، ص 187.
(30) احسان محمد الحسن ، التصنيع وتغير المجتمع ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، سلسلة دراسات (274) ، دار الرشيد للنشر ، العراق، 1981، ص 120.
(31) المصدر نفسه، ص 121.
(32) المصدر نفسه، ص 120-121.
(33) المصدر نفسه، ص 126.
(34) علاء الدين جاسم البياتي ، المرأة والتغير الاجتماعي في القطر العراقي، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، عدد شهر شباط 1979، بغداد، ص 552.
(35) علاء الدين جاسم البياتي ، المرأة والتغير الاجتماعي في القطر العراقي ، مصدر سابق، ص 554.
(36) علاء الدين جاسم البياتي ، محو الامية والتغير الاجتماعي، بغداد، الاتحاد العام لنساء العراق ، كانون الثاني، 1981، ص 11.
(37) المصدر نفسه، ص 12.
(38) علاء الدين جاسم البياتي ، المرأة والتغير الاجتماعي في القطر العراقي ، مصدر سابق، ص 555.
(39) المصدر نفسه، ص 556.
(40) الامم المتحدة ، الجمعية العامة، المؤتمر العالمي الرابع المعني بالمرأة ، بكين 4-5 ايلول 1995 ص14 ؛ ناصر ثابت ، المراة والتنمية والتغيرات الاجتماعية المرافقة ، منشورات ذات السلاسل عام 1983 ص81.

(41) احسان محمد الحسن ، احوال المرأة ومشكلاتها في اقطار الخليج العربي، مطبعة السلاسل، بغداد، 2000، ص 13.
(42) المصدر نفسه، ص 14.
(43) احسان محمد الحسن ، احوال المرأة ومشكلاتها في اقطار الخليج العربي ، مصدر سابق ، ص 15.
(44) المصدر نفسه، ص 14-15.
(45) ثريا التركي ، تغير القيم في العائلة العربية، سلسلة دراسات عن المرأة العربية في التنمية رقم 21، الامم المتحدة ، 1995، ص 34.
(46) مصدر سابق، ص 35.
(47) المصدر نفسه، ص 34-35.
(48) الاتحاد العام لنساء العراق ، الاستراتيجية الوطنية العراقي بشان تنفيذ منهاج عمل بكين بغداد ، 2005 .

المصادر والمراجع.

***القرآن الكريم .**

***الكتب .**

1. احسان محمد الحسن ، العائلة والقرابة والزواج، ط1،دار افاق ،بيروت 1988.
2. احسان محمد الحسن ، طبيعة المجتمع العراقي ، منشورات وائل، عمان، 2004.
3. احسان محمد الحسن ، التصنيع وتغير المجتمع ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، سلسلة دراسات (274) ، دار الرشيد للنشر ، العراق، 1981.
4. انتصار محمد جواد . الاسرة في حي الشعب، دراسة ميدانية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب - قسم الاجتماع، العراق، 2002.
5. ضياء زاهر ، القيم العلمية التربوية ، مؤسسة الخليج العربي ، القاهرة، 1984.
6. علاء الدين جاسم البياتي ، مركز الاب في الاسرة التقليدية ،ط1،دار الحرية للطباعة ،بغداد ،2000م.
7. علاء الدين جاسم البياتي ، المرأة والتغير الاجتماعي في القطر العراقي، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، عدد شهر شباط 1979، بغداد.
8. علاء الدين جاسم البياتي ، محو الامية والتغير الاجتماعي، بغداد، الاتحاد العام لنساء العراق ، كانون الثاني، 1981.
9. علي الوردي ، طبيعة المجتمع العراقي ، مطبعة العاني، عراق، 1965م.
10. عبد المجيد سيد احمد منصور ، دور الاسرة كأداة للضبط الاجتماعي في المجتمع العربي المعاصر ، المركز العربي للدراسات الاسرية في الرياض، السعودية، 1992.
11. لطفي، عبد الحميد ، علم الاجتماع، دار النهضة العربية، بيروت، 1986.
12. هالة البدري ، المرأة العراقية ، بغداد، العراق، 1980،(د.ت).
13. ناصر ثابت ، المرأة والتنمية والتغيرات الاجتماعية المرافقة ، منشورات ذات السلاسل عام 1983

***الرسائل والمجلات والبحوث.**

14. قاسم محمد كمر الدراجي ، الاسرة والضبط الاجتماعي ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب ، قسم الاجتماع، بغداد، 2002
15. ثريا التركي ، تغير القيم في العائلة العربية، سلسلة دراسات عن المرأة العربية في التنمية رقم 21، الامم المتحدة ، 1995.
16. الاتحاد العام لنساء العراق ، الاستراتيجية الوطنية العراقي بشان تنفيذ منهاج عمل بكين بغداد ، 2005